مجلة "نتائج الفكر" الصادرة عن معهد الآداب واللغات
المركز الجامعي صالحي أحمد النعامة
العدد 05،06 . السنة 2020، ص 110–126
ISSN 2477-992x / EISSN 2773-2762

الاشتغال السوسيوبنائي في النص الدرامي

قراءة في مسرحية "اللثام" لعبد القادر علولة

Socio-structural analysis in the dramatic text
Reading in the drama "The Litham" by Abdelkader Alloula

د.بكري أحمد شكيب.

Dr.Bekri Ahmed Chakib

1 المركز الجامعي صالحي أحمد (النعامة)، bekri_proof@yahoo.fr.

مُلخّص البحث

سنسعى في هذه المداخلة إلى فحص المقولات السوسيوبنائية الثاوية في ثنايا الخطاب الدرامي لمسرحية "**اللثام** " لعبد القادر علولة ،محاولين الكشف عن النوايا المعلنة وغير المعلنة للكاتب و المتخندقة في البنيات الخطابية للنص المسرحي المزمع دراسته .

كلمات مفتاحية: المقولات السوسيوبنائية ، الخطاب الدرامي ، البنية الخطابية للنص.

Abstract: (In this intervention, we will seek to examine the socio-structural Theories that lie in the folds of the dramatic discourse of Abdelkader Alloula's play "The Litham", trying to uncover the stated and undeclared intentions of the writer who are embedded in the rhetorical structures of the theatrical text to be studied.

Keywords: socio-structural , dramatic discourse, discursive structure of the text.

المؤلّف المرْسِل: بكري أحمد شكيب، **الإيميل**: bekri_proof@yahoo.fr

مقدمة: يتضمن هذا البحث قراءة سوسيوبنائية أو مايعرف بالبنيوية التكوينية [1]، في الخطاب الدرامي من خلال نص مسرحية " اللثام " للكاتب المسرحي عبد القادر علولة ، بغية تسليط الضوء عن العتمات النصية و البنيوية التي تلف رؤية الكاتب المضمرة و المعلنة ، ولعل الإشكالية الآلية والمناسبة التي تستظل تحت هذه التوطئة ؛هي حول إمكانية إتاحة مقولات البنيوية التكوينية الوسيلة النقدية الناجعة في اجتثاث حفريات النص و فهم تيبولوجية إيديولوجية الكاتب انطلاقا من و إلى النص كشرط أساس ؟

ويبدو أن الفرضية المناسبة و التي تجيب وبشكل أولي عن الإشكالية المطروحة ؛ هي أن النص المقترح لتحليل دهاليزه هو الذي يفرض أولا سلطته ـ كغاية في حد ذاته ــ على المنهج بشكل حتمي ، ومن ثم يأتي المنهج ثانيا ليلقي بظلاله المعرفية محاولا فضح مسكوت الخطاب ، ويمكن أن نزعم و بشكل يعزوه الحذر إلى حد ما ؛ أن المنهج البنيوي التكويني له مقدرة **فعل القراءة** [2]،لمحاصرة المعاني المنضوية في نص مسرحية "اللثام" و التوصّل إلى تفسير ثنائية الإيديولوجيما التي تضع جسور التحالف و التواطؤ بين نص مسرحية اللثام ومؤلفها معا .

01. تحديد المصطلحات:

1.1. رؤية العالم La vision du monde :

يقتضي مفهوم رؤية العالم عند لوسيان جولدمان ، أنه بنية مهمة داخل النسق النصي، ويرى جولدمان أن رؤية العالم هي واقعة فردية تعبر عن واقعة اجتماعية تنسجم فيها رؤية طبقة من الطبقات الاجتماعية مع الواقع ، ومن ثَمَّ فهي بعيدة عن أي رغبة ذاتية وفردية.

ويؤكد جولدمان على أن الرؤية للعالم تتعدى العمل الفردي التي تبئر نظرتها في انصهار الفرد في ذاتية الجماعة ، الذي يتأتى بين وسائط ، وهم الكتاب و الإنتلجنسية الذين ينقلون رؤية طبقة معينة في الواقع داخل الأثر الأدبي في الرواية و المسرح و الإنتاج الفلسفي[3] .

ويشترط جولدمان أننا إذا أردنا رصد رؤية العالم للوسيط ألا وهو الكاتب ، لابد من تتبع كرونولوجي صارم لكل الأعمال الإبداعية للكاتب ، ليتسنى لنا بعد ذلك تكوين صورة شاملة لرؤية العالم لكاتب ما في كل أعماله و التي استقاها حتما من الوعي الاجتماعي الكائن .[4]

ولتأكيد هذا المفهوم يضع الطاهر لبيب آليات فهم الشعر العذري لجميل بثينة حيث يتساءل قائلا : " هل يمكن مثلا وبصفة علمية إثبات أن نفسية جميل بثينة هي التي جعلت من شعره شعرا عذريا ؟ كثيرا ما ذهب مؤرخو الأدب في هذا الاتجاه وأمام صعوبات كهذه يكون أيسر وأقرب إلى الدقة بكثير تحديد رؤية عذرية ينتمي إليها جميل، وهي رؤية مجموعة من الناس عاشت وضعا تاريخيا معينا وبحثت له عن حلول معينة بطرق معينة "[5]. نستنتج من هذا التساؤل الجدلي ؛أن رؤية للعالم هي نتيجة إفراز الوعي أو الكائن الاجتماعي الذي يلقي بظلاله في الكائن

الإبداعي الذي يصوغه الوسيط الاجتماعي وهو الكاتب الذي يعد الناطق الرسمي لهذا الواقع ، وعلى هذا الأساس فإن الشعر العذري بشكل عام أو شعر جميل بثينة بشكل بخاص ما هو إلا قالب فني يحمل رؤية الشاعر الفرد المنصهر في الكل الاجتماعي ،ليؤول الأمر إلى إشكالية تعذر فهم آليات الاشتغال الطبقي لفئة اجتماعية معينة إلا من خلال محاولة فضح المخرجات الإبداعية الشاملة للفرد المبدع . فإن الرؤية العذرية من خلال جميل بثينة هي وليدة تضافر الوعي الاجتماعي التي تثمر عملا عظيما ،وعليه فإن : " كل عمل أدبي عظيم هو تعبير عن رؤية للعالم ، التي هي ظاهرة الوعي الجمعي الذي ينير المفاهيم أو الأحاسيس في وعي المفكر أو الشاعر ، اللذان يعبران عن ذلك في الأعمال التي يدرسها المؤرخ ، مستعينا بالأدوات المفاهمية ،وهي الرؤية للعالم ،المعبر عنها في النص ، إذ تسمح له باستنباط ما هو أساسي في العمل المدروس ، إلى جانب دلالات العناصر الثانوية في مجموعة العمل " [6] .

1.2. البطل الإشكاليLe héro problématique :

ناقش جورج لوكاتش في كتابه "نظرية الرواية "[7] مفهوم البطل الإشكالي ، فهو بطل دائم البحث عن القيم الأصيلة في مجتمع يخلو من القيم ، فهو فرد إشكالي متردد بين عالمي الذات والواقع ، يعيش مفارقات منحطة في عالم منحط. إذ يحمل البطل قيما أصيلة يفشل في تثبيتها في عالم منحط لا يعترف إلا بالتبادل الكمي . لذلك يصبح بحثه منحطا بدوره لا طائل منه والذي سماه لوكاتش بالشيطاني ،إذ يظل البطل مرتبطا بعالمه المنحط ،ويحاول البحث عن القيم الأصيلة بوسائل منحطة [8] .

فالبطل الإشكالي ليس كالبطل الملحمي الذي نجده في الملاحم الإغريقية حيث يحقق علاقة ودية بين الذات والواقع ،بل هو بطل ممزّق ضائع وتائه ، و يعيش مأزقا ومفارقات منحطة بين البطل المنحط وموضوعه المنحط وبين رغبة الفرد القيمية و متطلبات الجماعة المادية ،و بذلك لن يصمد طويلا حتى يبوء مسعاه بالفشل في تحقيق أهدافه وقيمه الأصيلة في مجتمع لا يعترف بالقيم الكيفية ولا يؤمن سوى بقيم التبادل والسلع والمعايير المادية .

02. مقاربة سوسيوبنائية لنص مسرحية اللثام .

2.1 مسرحية "اللثام ": رؤية العالم بين شعرية الممكن و إسقاطات الكائن :

ينبغي أن نشير قبل أن نسترسل في سبر أغوار نصنا المتاح للتحليل ، أن ثَمّ ارتباط بين الإيديولوجيا و رؤية العالم ،باعتبار أن الأولى تعبر عن أفكار فئة جماعية ما ، فهي عتبة وعنوان لرؤية طبقة اجتماعية تتبناها وهذا سيؤدي حتما وبشكل آلي إلى مشاكسة بين إيديولوجيات مخالفة لها التي تستأنس بها طبقة اجتماعية أخرى ، هذا ما يجعلنا أن نرتهن لفكرة أن الإيديولوجيا ليست تغريدة فردية بقدر ما هي رؤية جماعية ، وبعبارة أكثر أكاديمية أن رؤية الفرد الإيديولوجية هي بنية متناسقة ضمن منظومة بنيوية شاملة تؤول في الأخير إلى قيمة اجتماعية وتكرّس داخل الكائن (الواقع) الذي أنتجها ، ويعمل الفرد الذات أو الوسيط الاجتماعي على انتداب هذه المنظومة الشاملة فيبوئقها في الممكنات الفنية، و هذه القوالب الفنية تترجم في بنياتها النصية تغلغل المرجعيات الاجتماعية التي أسست وبشكل استطيقي لهذا الممكن . وهذا الذي أشرنا إليه في البداية ؛ بأن الرؤية للعالم لا تتبنى رؤية الفرد بذاته ،بل هي تتمظهر بواقع مادي الذي يفصح عن رؤية جماعية ، و الفرد المبدع يعمل على صياغتها في عمل فني أو فكري مطابق لهذا الواقع الكمي.

وبعد هذه التوطئة الموجزة ، سنعمل على فحص مدى نجاعة هذه المقولات التي استأنسنا بها في المحطة النظرية وتسخيرها في النص المراد معالجته .

وسنبدأ مقاربة النص بسؤال قاعدي : هل تبنى علولة إيديولوجية محددة وعمل على قولبتها في نصه المسرحي ؟ وهل سنتمكن من خلال هذه المطية الإيديولوجية المبثوثة في الخطاب المسرحي بفضح رؤية الكاتب لواقعه ؟

اشتغل علولة بشكل مكثف في نص مسرحية " اللثام " في تجلية رؤيته للمجتمع الجزائري في فترة الثمانينيات، إبان الأزمة الاقتصادية سنة 1986 والتي أفرزت ارتدادات سوسيولوجية ، عمّقت الهوة بين طبقات المجتمع الجزائري و خلقت فئات طبقية متصارعة ، كلّ طبقة تنافح عن رؤيتها وتعزّز تمركزها الفئوي وفق آليات تتبناها وتحاول بسطها على باقي الطبقات المناوئة ، ويتجلى هذا

التشاحن بين الطبقة البروليتاريا الكادحة و الطبقة الانتهازية في النص المسرحي المعروض ، حيث يسدل نص مسرحية " اللثام " عن مشهد تراجيدي بسقوط مؤسسة صنع الورق في مكان ما في الجزائر في أزمة ترهن مصير المؤسسة و مصير العمال بها ، بسبب تعطّل ماكينة صنع الورق " البرمة " وتوقف غالبية عمال المصنع عن العمل وتوقفهم عن الإنتاج ، وعدم اكتراث أرباب المصنع بالشبح المهدد للمؤسسة و لعمالها، بل إنهم اقسموا صارمين أن لن يصلحها أحد وإلا سيكون جزاؤه الطرد ،ويتضح ذلك في كثير من ملفوظات النص السردية التي تبين حجم البؤس الذي لحق بفئات معدمة من الشعب :" برهوم و الشريفة خرجوا من البادية ، الفقر دمرهم و المدينة لغات النمو الاقتصادي هو الذي جلبهم ..." [9] ، هذا الملفوظ عبر وبشكل **جمالي** ورمزي عن الوضعية المقلقة التي ألمت بشرائح مهمة من المجتمع الجزائري في ظل الأزمة الاقتصادية الخانقة ، كما يرفع علولة الستار عن مشهد مقزّز يعري فيه الانحطاط الذي بلغه الانتهازيون الذين توعدوا كل من سولت له نفسه بإصلاح " البرمة " بالطرد من المصنع :" البرمة ،هذي ممنوع اللي قرب لها ،وخدمتها صعيبة ،جناح كبير من المصنع حابس على جالها ...أصحاب الإدارة عالمين العمال اللي يمسها يطرد "[10] ، في هذا الملفوظ يحرّك علولة آلية اشتغال الوعي القائم بالنسبة لطبقة اجتماعية متربعة على رأس الهرم الاجتماعي والتي تتسم بالجشع و الابتزاز و الفساد ،وهذه الفئة التي رمز لها علولة في النص المسرحي بإنتهازيي الإدارة الذين شددوا الخناق على عمال المصنع الغارق في دوامة تعطل آلة صنع الورق ،وتوقف العمال عن العمل لينضاف إليها وعيد أرباب المصنع ، هذه الصورة القاتمة التي رسم المؤلف أوجهها المعتمة بنسقية شعرية ، هي في الحقيقة رؤية الكاتب للصراع المحتدم أفرزته طبقتين اجتماعيتين مختلفتين في التوليفة الاجتماعية الجزائرية ، طبقة عليا منحطة لها وعي متوحش و منحط همها الوحيد هو تأمين القيم المادية و الاستهلاكية ولو على حساب الفئات الأخرى من المجتمع أو على حساب الوطن فهم في نظر الكاتب يمثلون " **زمرة نيرون** " أو هم عصابة الوطن :" سرقوا وثائق رسمية من مخازن الإدارة ...ليسرقوا البرمة الكبيرة ... هذا تخريب ...تخريب اقتصادي" [11] .

ويتضح انحطاط هذه الفئة جليا وفي قالب غير قابل للتأويل ، وذلك في قول أحد شخصيات المسرحية السي خليفة :" مصنعكم في خطر ... ما يجيبوا صانع للبرمة ما يوفروا الوسائل الضرورية

للمصنع ...ناس داخل و خارج المصنع يخدموا ضد المصلحة العامة ،رهم ضاغطين على مصيركم و على مؤسستكم ،ناس فيهم اللي يخدم القطاع الخاص ،اللي يخدم رأس المال الأجنبي ،واللي يخدم في زوج ،ناس صاري ليهم كالحنشى اللي تتربى في القلة ... ناس لو يصيبوا الطاقة يبيعوا المصنع على رسانكم ، مصنعكم سوسوه ،والبرمة سبة باش يوقفوا ثلاثين عامل ..." [12].

ويواصل علولة إبراز رؤيته للمجتمع الجزائري وبطريقة ممنهجة ودرامية ،في إقحام فئة البروليتاريا المنضوين في زمرة العمال الكادحين ،هذه الفئة التي تحاول قلب الموازين غير المتكافئة و تغيير الوضع المتردي ،ففي البنية النصية للمسرح يكشف علولة توصيف هذه الطبقة التي تتميز بالحس الوطني ، والتفاني لإحقاق الحق للصالح العام كما تتميز هذه الطبقة بالقيم الأصيلة ، نستشف هذا في الملفوظ السردي الذي يصور في مشهد **رحكي** وعيد شخصية الشريفة لزوجها برهوم الذي رفض فتح باب بيته للعمال النقابيين الذين أتوه طالبين إصلاح " البرمة " :" هاهو الشقور ،لوكان ما تحلش عليهم الباب و تستقبلهم الليلة نفصلك ... الليلة نطيرلك الشاشية ... جايين يطلبو منك تعاونهم فالخير للجميع وأنت هارب خايف منهم ..." [13].

كما وصف علولة هذه الفئة بقيم أصيلة كحب العمل والكد فيه ومقتها للغش وتميزها بالكفاءة :" محبوب برهوم الحشام بالكثير في الشريكة الوطنية ،**حادق** في الخدمة ...دايرته في قسم غسيل عجين الحلفة ... رغم المصايب اللي تتسلط عليه ساعة على ساعة مايغش في العمل مايتأخر ما يتيغيب على الخدمة "[14] ،وفي موضع آخر يبرز الكاتب ثلة من النقابيين ك شخصية : الفيلالي ، لعرج ، البكوش ، الذين أصروا على إيجاد الحلول المناسبة لإنقاذ المؤسسة من مسييرها الفاسدين و محاولة إصلاح الآلة المعطلة :"بقى يتفرج فيهم ويسرب في كلامهم بقى يشوف فيهم كي يتناوبوا الهدرة ،كيف يميلوا على بعضهم كأنهم من كرش وحدة بقى يشوف فيهم كيف تقدم اللحية و تقساح الخزرة لما ينطقوا بكلمة " أحنا " ،يشوف فيهم يتجعد الصدر و تفتح الذرعين لما يقولوا العدالة الاجتماعية ".[15]

وأورد علولة الكثير من الملفوظات السدردية التي تباين بين فئتين اجتماعيتين ، إحداهما تمثل قيم الاستغلال و اللاكفاءة و الانحطاط والفساد و الأخرى هي عنوان للتفاني و الاجتهاد لخدمة الصالح العام و الالتزام بمبادئ النزاهة .

ومن هنا تبدأ مظاهر رؤية العالم التي حبك الكاتب أنسجتها الفنية ،بالتجلي فيبدو أن الصراع قائم بين طبقتين اجتماعيتين ، طبقة همها الوحيد تأمين أطماعها وطموحاتها الشخصية بأي وسيلة أو غاية قذرتين ، وفئة أصيلة ،كادحة ، تسعى جاهدة لتثبيت قيم العدالة الاجتماعية و تكريس العدالة الاجتماعية لكل الأطياف المكونة للبنية الاجتماعية .

وهذه الفجوات البائنة و المتباينة بين هذين الطبقتين ، سينجم عنها صراع الطبقات ، طبقة لها وعي منحط تسعى جاهدة لترسيخ هذه القيم و الإبقاء عليها ، وطبقة لها وعي مناقض كل التناقض مع الطبقة الأولى ، فهذه الفئة تتخندق تحت الوعي الرامي إلى إحلال قيم العدالة الاجتماعية .

وسنبين في ترسيمة "صراع الوعي" القائم بين طبقتين اجتماعيتين ، والتي تضبط رؤية الكاتب للمجتمع في النص المسرحي .

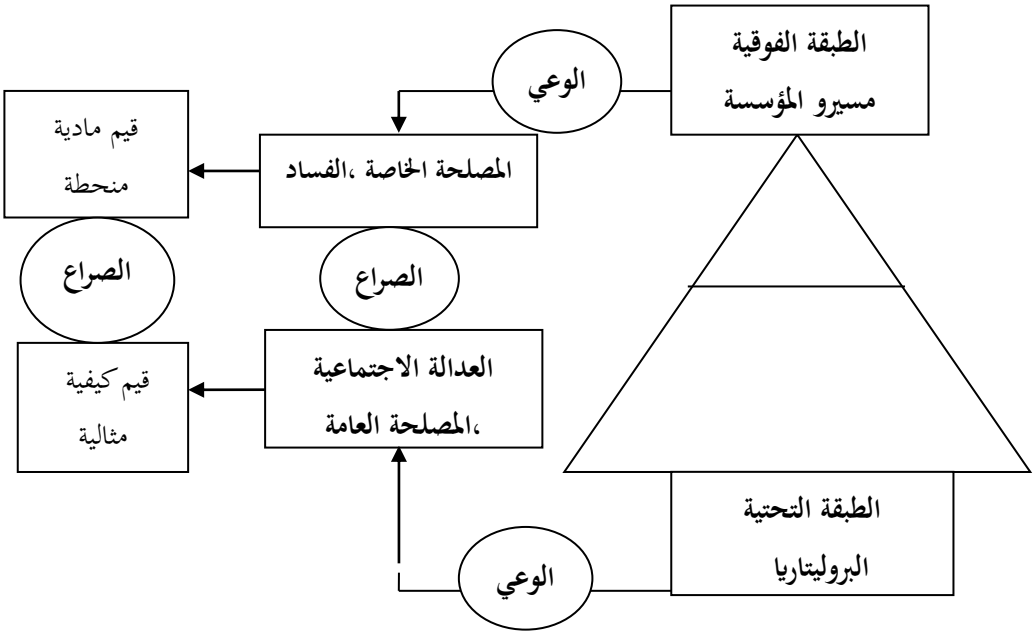

2.2 البطل الإشكالي بين حتمية الواقع و وهم الذات :

لقد خرجنا في ما سلف ؛أن البطل الإشكالي ليس كالبطل الملحمي الذي يحقق علاقة ودية بين الذات والواقع ،بل هو بطل يعيش تيهانا ، و يعيش مأزقا ومفارقات منحطة بين البطل المنحط وموضوعه المنحط وبين رغبة الفرد القيمية و متطلبات الجماعة المادية.

ومن هذه المنصة النظرية سنحاول تقصي رحلة بحث الذات عن القيم الأصيلة ،و التي حاول الكاتب الاشتغال عليها كثيرا في عمله الفني .

لقد خلص بنا التحليل المسخر لفضح رؤية العالم لمؤلف المسرحية ؛ أن المجتمع الجزائري في مرحلة الأزمة الاقتصادية أثرت عليه سلبا وخلقت شروخات عميقة في بنيته ، و هذه الأخيرة عرّت انتكاسات اجتماعية كانت موجودة سلفا وأفرزت صراعا طبقيا ، بين طبقة متحكمة في مقاليد الحكم تتصف بالفساد واللصوصية تنشد المصلحة الخاصة ،استفادت من هذه الأزمة كثيرا وعملت على ترسيخ وتقوية هذه القيم المنحطة في فئتها المنحطة ،وطبقة كالحة كادحة اكتوت بنار هذه الأزمة لها قيم منافية لقيم الطبقة العليا ، هذا ما تمخض عنه تصادما طبقيا .

وفي هذا الخطاب المسرحي لن نجد صعوبة في معرفة البطل المحوري ، وهو " برهوم ولد أيوب الأصرم "، الذي اعطاه علولة بطاقة دلالية رسمت معالمه النصية ؛فبرهوم هو يتيم الأب ، ملقب بالحشام ؛أي كثير الحياء وهو زوج الشريفة ابنة عمه ،يعمل في مصنع للورق ، ذو كفاءة ،مخلص في عمله وجاد ويكره الغش :" :" محبوب برهوم الحشام بالكثير في الشريكة الوطنية ،**حادق** في الخدمة ...دايرته في قسم غسيل عجين الحلفة ... رغم المصايب اللي تتسلط عليه ساعة على ساعة مايغش في العمل مايتأخر ما يتيغيب على الخدمة "[16]. هذه الصفات رشحته دون غيره ، إلى مهمة إصلاح البرمة رغم تحذيرات أرباب العمل ،هذا البطل الذي يحمل قيم الأصيلة تواطأ مع ثلة نقابية تحمل نفس القيم النبيلة خططوا لنسف المشروع التسلطي و قيم الفساد لمسؤولي المؤسسة .

إضافة إلى ذلك أقحم علولة فئة وإن قلت تحمل نفس القيم لدى "برهوم" ؛وهذه الفئة هم " الشريفة زوجة برهوم ، النقابيون و السي خليفة " وكل هؤلاء كونوا وعيا قائما يقضي بحتمية النهوض ضد فئة الانتهازية ،وسنورد بعضا من الملفوظات السردية التي تكون طبقة الوعي القائم ذات القيم الكيفية ،فالشريفة كانت السند الحقيقي لبرهوم لتحقيق مشروع إصلاح البرمة ويتضح هذا في قول الشخصية التي حرّضت برهوم على استقبال النقابيين الرامين إلى مناهضة أرباب المؤسسة الفاسدين :" هاهو الشقور ،لوكان ما تحلش عليهم الباب و تستقبلهم الليلة نفصلك ... الليلة نطيرلك الشاشية ... جايين يطلبو منك تعاونهم فالخير للجميع وأنت هارب خايف منهم ..." [17].

أما الملفوظات الدالة على إرادة كل من برهوم و النقابيين لإصلاح البرمة أوردها علولة في كثير من موضع :" ...خرج من حشمته وتجند ،راه زاضم في مهمة للمصلحة العامة ... برهوم الخجول ولد أيوب الاصرم ورفقائه درسوا مراحل المهمة ... في كلامهم يدوروا ويولوا للبرمة ..." .[18] وكذلك في هذا الملفوظ :" الفيلالي جبد ورقة من تحت قمجته مدهم له وقال هدوا رسوم البرمة مخطط جهازها الدخلاني جابوه لنا الإدارة ...راكم غالطين ياناس ... حاسبيني مهندس ؟ ... خوكم عامل يدوي بسيط التجربة رد الفيلالي تجربتك هيا اللي محتاجين لها ..."[19] ،إضافة إلى ملفوظات خطابية أخرى .ولكن قد يتبادر للسائل سؤالا مهما عن باقي عمال المصنع ؛لماذا لم يتجشموا عناء إصلاح البرمة ؟ لماذا تركوا فردا بذاته "برهوم " هو من يحمل على عاتقه و ثلة قليلة من النقابيين هم إصلاح ما أفسده الفاسدون ؟ لماذا تركت الأكثرية وهم العمال الأقلية تعبث بمصير المصنع و مصيرهم ؟ ألا يعنيهم تعطل آلة صنع الورق ؟ هذه الأسئلة المفصلية هي التي تحسم الرؤية العامة للكاتب للمجتمع الجزائري في فترة الكساد العالمي .سنجيب عن هذه الأسئلة في عنوان ثانوي نحلل فيه صراع البطل الإشكالي مع عناصر التبادل المادية _الاقتصادية _ المحكومة بين عنصري الاستهلاك و الإنتاج ،والتي تضبط المسافات الموجودة بين الفئات الاجتماعية المختلفة .

1.2.2 البطل الإشكالي وهيمنة المفارقات المادية :

اتضح لنا في مناقشتنا للعنصر السالف الذي سبق هذا العنوان الثانوي أن فئة قليلة و على رأسهم شخصية برهوم ؛ قرروا إصلاح العطب الذي لحق بالآلة و دخلوا في مواجهة مع مسيري المصنع

المستفيدين من هذا الجو الموبوء ، كما خلصنا في الأخير بطرح سؤال عن سبب غياب جل عمال المصنع وعدم مساعدتهم لهذه الفئة القليلة .

لقد ذكرنا سالفا في عرضنا لمفهوم البطل الإشكالي ؛أنه :" بطل دائم البحث عن القيم الأصيلة في مجتمع يخلو من القيم ، فهو فرد إشكالي متردد بين عالمي الذات والواقع ، يعيش مفارقات منحطة في عالم منحط. إذ يحمل البطل قيما أصيلة يفشل في تثبيتها في عالم منحط لا يعترف إلا بالتبادل الكمي . لذلك يصبح بحثه منحطا بدوره لا طائل منه والذي سماه لوكاتش بالشيطاني ،إذ يظل البطل مرتبطا بعالمه المنحط ،ويحاول البحث عن القيم الأصيلة بوسائل منحطة "20 .

ففي هذه المسرحية لا يخفي علولة هذا الجانب في مسرحيته ، بل إنه تعمد منهجة استراتيجية البطل الإشكالي التي له قيما يكافح من أجل إحلالها ولكن من دون أي جدوى ، فالبرغم من تكاثف الجهود و المساعي بين الشريفة و برهوم و النقابيين لإرجاع أمور المؤسسة إلى نصابها الطبيعي ،إلا أن تلك المحاولات باءت بالفشل ،حيث بدأت محنة برهوم بسقوطه المروع أثناء محاولته إصلاح البرمة و دخوله على إثرها المستشفى ثم إدخال برهوم إلى السجن :" في الليلة الرابعة ليلة العالية خرج برهوم الخجول ولد أيوب الأصرم من دراه العشية ...توقف في الظلام ...طاح طيحة شينة انقرد المخلوق و حكماته الدوخة ... بعدما مشاها وقع له حادث وراح في المستشفى في حالة غيبوبة " [21] أما دخول البطل السجن فيقول علولة :" ...شاف و اسمع العجب المعجب ....بعد شهور خرج ولد أيوب من السجن ..." [22].

لم يترك علولة في هذه الملفوظات المختارة _وهي على شاكلتها كثيرة_ مساحة كبيرة للبطل لكي يحقق مسعاه النبيل فلقد رافق البطل برهوم الفشل الذريع و لم يستطع تحقيق موضوعه قيمته وهو إصلاح البرمة و من ثم إعادة المصنع إلى حالة اقتصادية منتجة ،بل كان جزاء برهوم السجن و بعد خروجه من السجن ،اشمأز من هذا الوضع الاجتماعي المزري فلقد أحس بالغربة و التأزم لأن قيمه الأصيلة لا تتفق مع قيم الفئة الفاسدة و لا قيم المجتمع الكادح الذي يعيش فيه ،وهذا ما ضاعف من تعاسة البطل وجعلته ينبذ مجتمعه المنحط الذي تواطأ وعيه مع وعي الفئة الفاسدة ، وقرر أن يذهب إلى فئات مسحوقة مثله تحلم بأحلامه :" ...قطع مع ناسه ... بعث رسالة لأهله

باش يطمنهم ...تلموا عليها السي خليفة و الشريفة ... قروا الرسالة وعاودوها ما قدروا يفسروها ...طبقوها قالوا فقد عقله نهائيا ودسوها ... يتكلم عن مجتمع مثالي على قرية مليانة بالورود... برج أخضر مشجر ... قلعة لا تأخذ... يتكلم عن النظام الداخلي على حرية التعبير والإبداع"[23].

هنا تتضح في ما لا يحوم أي شك رؤية الكاتب فهي رؤية مزدوجة ، صراع طبقي في المجتمع الجزائري في مرحلة ما قبل أحداث أكتوبر ،بين فئة استأثرت الحكم و أغلقت منافذ الحريات وأجهضت روح الإبداع للنخب الجزائرية مما أدى بها إلى الهجرة،ولم تكتف هذه الفئة المستبدة بذلك بل عملت على نهب خيرات البلاد و العباد و نشر الفساد وجعلته ثقافة مشاع بين الناس ،هذه الفئة كانت بمثابة مصاصي دماء الطبقة الكادحة التي كانت تستغل كدحهم وتجني ثمار جدهم و مثابرتهم .

ولكن علولة بقدر انتقاده اللاذع لهذه الفئة المنحطة ،كان شديد القدح على السواد الأعظم من الفئات الاجتماعية في الجزائر ،فلقد اتسم علولة بالذكاء و العبقرية الفنية في إسقاط المظاهر الاجتماعية المنحطة للمجتمع الجزائري في فترة الكساد الاقتصادي ، في خطابه المسرحي وذلك عندما جعل فئة قليلة جدا هي من عزمت على إصلاح البرمة ،وبإصلاحها ستعود عجلة الإنتاج من جديد إلا أن غالبية العمال صمتوا و تواطؤا بصمتهم و سلبيتهم مع الانتهازيين ،ففئة الانتهازيين مرتبطة بقيم مادية و هي قيم الاستهلاك واستغلال ما تنتجه الفئة الكادحة ،وكذلك السواد الأعظم من القوى المنتجة تبنت هذه القيم المادية للفئة الأولى ، وفي هذه الحالة ستختل الموازين الاقتصادية وستؤدي بالمؤسسة إلى الإفلاس و يكون مصير العمال الطرد و التعرض إلى شبح البطالة ، وهذه الصورة الفنية التي رسمها علولة هي رؤيته للمجتمع الجزائري و الذي يحمله الكاتب تبعات الأزمة الاقتصادية التي عاشتها الجزائر إضافة إلى الفئة الكلاسيكية و هي السلطة الفاشلة الفاسدة .

ومما ذكرنا يمكننا أن نرصد الإيديولوجيا التي اعتمدها الكاتب في كتابته لنصه المسرحي ؛ هي " الواقعية النقدية " التي تقوم على رصد الجوانب السلبية في المجتمع ، وهي تركز على الجوانب الشريرة في الإنسان ،وعلى جوانب القبح في المجتمع ، وهي تتسم بالتشاؤم و اليأس.[24]

وهذه الإيديولوجيا تتفق مع مآلات البطل الإشكالي في النص ،وكذا مع الطرح الواقعي لرؤية الكاتب ،الذي رأى أنه علاوة على فساد المفسدين الممثلة للطبقة العليا التي احتكرت مقاليد

الحكم و استغلت و استثمرت في كدح الطبقة التحتية واستأثرت لنفسها قيم الاستهلاك لا غير ، توطأ جل الجزائريين في فترة الجزائر الحرجة حيث نبذوا قيم العمل و الكفاءة والجدية المؤدية إلى الإنتاج و الرفاهية ، واستبدلوها بقيم الاستهلاك كذلك ، وأضحت فئة قليلة جدا من المجتمع الجزائري من تقدس العمل و ترتهن إلى الإنتاج الفعال ،وفي العرف الاقتصادي البسيط أنه كلما زاد الاستهلاك و نقص الإنتاج فسيكون مصير اقتصاد البلاد الركود ، وهذا ما أدى آليا إلى سقوط الجزائر في المصير الاقتصادي المتردي المحتوم ، فجزائري الثمانينيات في نظر علولة ومن خلال هذا العمل الدرامي كان يمجد الاستهلاك فقط و يمقت قيم الوقت و العمل و الإنتاج ،وعليه سيخضع هذا المجتمع إلى السيرورة الأمبريقية القاضية بتهاوي هذا المجتمع في المزالق الاجتماعية وترديه في الأزمات السياسية و المعضلات الاقتصادية ، و من تبعات ذلك ما عاشته الجزائر من كلفة باهظة دفع ثمنها في العشرية السوداء في التسعينيات و هي الفترة التي تلت الأزمة بقليل.

خاتمة:

في خاتمة هذه الدراسة التي حاولنا أن نعوّل على نجاعة المنهج البنائي التكويني في فهم الرؤية الشمولية لمؤلف مسرحية اللثام استنادا على البنية الجمالية للنص ،ولقد خرجنا من هذا البحث بجملة من النقاط و التي سنلخصها في نقاط مهمة :

- يعد المنهج البنيوي التكويني من المناهج المتمردة على البنيوية التي رفضت إقحام المراجع الخارجية المؤسسة للنص كالمؤلف ، فهذا المنهج الثوري جمع بين المقولات البنيوية النصانية التي تعتد النسق اللغوي رهانا مهما لمحاصرة المعنى ، كما أضاف السياقات المختلفة البانية للصرح البنيوي للنص ،فهذا المنهج المابعد حداثي هو توليفة منهجية تكاملية من المنهج البنيوي الذي انضوى تحت شعار النص المغلق ، و من المنهج الاجتماعي ولاسيما السوسيولوجية الماركسية المادية التي تنشد النص المفتوح على السياقات الواقعية .
- تعد المقولتان رؤية العالم و البطل الإشكالي من الركائز الأساسية في المنهج البنيوي التكويني ،وذلك لما لهما من مقدرة نظرية و إجرائية في فهم الإسقاطات السياقية للكائن أو للواقع في النسق النصي أو الممكن الفني .
- لقد اكتشفنا في خضم تحليلنا للنص الدرامي " اللثام " لعلولة ؛ أن خطابه المسرحي كان مكتظا بالمقولات و النظريات السوسيولوجية المادية التي تشاكل تقريبا الجهاز المفاهيمي للبنيوية التكوينية ،ففي نظرنا لقد غلّب علولة في مسرحيته "اللثام " البعد التقني و المفاهيمي والإيديولوجي على حساب الفني والجمالي ،وذلك بإخضاعه للبعد الرمزي و الجمالي لرؤاه الإيديولوجية ، فالنص الفني المتمكن هو الذي يستطيع مؤلفه من إقامة جسور حميمية وودية بين السياقي المرجعي و النسقي البنيوي ، حيث تجد صعوبة في معرفة أين الفني و أين الإيديولوجي ،كما فعل الطاهر و طار في عدة روايات أهمها :" الحوات و القصر " و" عرس بغل " و " الشمعة و الدهاليز " أو في أعمال بن هدوقة الخالدة ك " ريح الجنوب" ، " بان الصبح " ، " نهاية أمس " ،" غدا يوم جديد".

- لقد تمكنا من خلال تطبيقنا للإجراءات النظرية للبنيوية التكوينية، من معرفة أن علولة قد ارتهن للإيديولوجية الاشتراكية في الكتابة الواقعية وهي " الواقعية النقدية " المتسمة بالتشاؤم من المجتمع ككل .
- عند قراءتنا لخطاب مسرحية "اللثام" اكتشفنا رؤية الكاتب للمجتمع الجزائري إبان النكسة الاقتصادية العالمية و التي ضربت رياحها الهوجاء المنظومة الاجتماعية الجزائرية ؛ والتي أدت إلى ارتدادات اقتصادية يُرجع المؤلف أسبابها الرئيسية إلى القيم الاجتماعية المنحطة التي اتسم بها الجزائري في زمن الأزمة الاقتصادية ،فلقد أقر المؤلف بين ميتانص المسرحية ؛أن المجتمع الجزائري كانت له اليد المتواطئة مع الفساد المستشري في الجزائر ، وذلك بتركه للقيم البانية للاقتصاد القوي كتقديس قيم الوقت و العمل و الكفاءة و الإنتاج ، هذه القيم في فترة الكساد تلاشت و استبدلت بقيم منحطة كظاهرة الغش في أوقات العمل واستفحال روح التواكل و نشدان الاستهلاك على حساب الإنتاج ، فأصبح المجتمع الجزائري يقدس قيم الاستهلاك على قيم الإنتاج ،وهذه القيم نجمت عنها نتائج حتمية أوصلتنا إلى السقوط وعلى كل المستويات ، ولقد استشرف علولة هذا السقوط و التردي في نصه الركحي ، فلقد كتب هذه المسرحية قبل أحداث أكتوبر سنة 1988 ،هذه الأحداث وما تلاها من تبعات جسام ، كانت أحد الأسباب المباشرة للنكسات المتتالية في المجتمع الجزائري في ظل الأزمة الاقتصادية سنة 1986 .
- وعليه من التوصيات التي نخرج بها من هذه المداخلة ؛هي التفكير في إعداد مشروع ملتقى وطني أو دولي حول " الأدب و الاستشراف " ،ويمكن تفريع هذا الملتقى إلى محاور أهمها:
  - الرواية، القصة القصيرة والاستشراف.
  - المسرح و الاستشراف .
  - السينما و الاستشراف .

إحالات البحث:

1لوسيان غولدمان :"الإله الخفي "،تر :زبيدة القاضي ،منشورات الهيئة العامة السورية +وزارة الثقافة ،دمشق ، د.ط،2010

2رشيد بن مالك :"مقدمة في السيميائية السردية " ، دار القصبة للنشر ، الجزائر، د.ط ،2000 ،ص20.

3ينظر لوسيان غولدمان ، مقدمات في سوسيولوجيا الرواية ،تر:بدر الدين عكرودي، دار الحوار و التوزيع ،سوريا ،دمشق،ط1، 1993 ،ص21.

4ينظر ،جمال شحيد ،في البنيوية التركيبية (دراسة في منهج لوسيان غولدمان) ،دار ابن رشد للطباعة و النشر ،بيروت ،ط1، 1980، ص 80.

5لبيب الطاهر :" سوسيولوجيا الغزل العربي " ، تر:مصطفى المنشاوي،دار الطليعة +عيون المقالات ،الدار البيضاء ، ط1، 1987، ص 5

6جاك لينهارت:" دفاعا عن جمالية تستلهم علم الاجتماع" (محاولة لبناء الجمالية لدى لوسيان غولدمان)، تر فهد عكام، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ،عدد 112 ، 1980 ،ص45.

7جورج لوكاتش :" الرواية " ،تر:مرزاق بقطاش ،المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ، د.ط ، د.ت .

8 Voir, Lucien Goldman, pour une sociologie du roman, Ed, Gallimard, Paris, 1964, pp 37, 38.

9عبد القادر علولة :" الأقوال ،الأجواد ، اللثام " ،موفم للنشر ، الجزائر ، د.ط، 1997، ص 161.

10المصدر نفسه ، ص 174.

11المصدر نفسه ،ص 178.

12عبد القادر علولة ، المصدر السابق ،ص ص 181،182.

13المصدر نفسه ،ص 173

14المصدر نفسه ،ص 163

15المصدر نفسه ، ص 179

16عبد القادر علولة ، المصدر السابق ،ص163.

17عبد القادر علولة ، المصدر السابق ،ص ص 173

18المصدر نفسه ، ص 171.

19المصدر نفسه ، ص ص 177،178

20 Voir, Lucien Goldman, op ,cit .pp 37,38 .

21عبد القادر علولة ، المصدر السابق ، ص ص 186،188

22المصدر نفسه ، ص ص213،201

23المصدر نفسه ، ص 221.

24ينظر ،محمد حلمي القاعود ،النقد الأدبي الحديث (بداياته و تطوره)،دار النشر الدولي للنشر والتوزيع،الرياض،ط1، 2006،ص ص 208،209.

قائمة المراجع المعتمدة:

المصادر :

1. علولة عبد القادر :" الأقوال ،الأجواد ، اللثام " ،موفم للنشر ، الجزائر ، د.ط، 1997.

الكتب :

1. بن مالك رشيد:"مقدمة في السيميائية السردية " ، دار القصبة للنشر ، الجزائر، د.ط ،2000 .
2. حلمي القاعود محمد :"النقد الأدبي الحديث" (بداياته و تطوره)،دار النشر الدولي للنشر والتوزيع،الرياض،ط1، 2006
3. شحيد جمال :"في البنيوية التركيبية" (دراسة في منهج لوسيان غولدمان) ،دار ابن رشد للطباعة و النشر ،بيروت ،ط1، 1980.
4. غولدمان لوسيان :" مقدمات في سوسيولوجيا الرواية" ،تر:بدر الدين عكرودي، دار الحوار و التوزيع ،سوريا ،دمشق،ط1، 1993
5. ـــــــــ :"الإله الخفي " ،تر :زبيدة القاضي ،منشورات الهيئة العامة السورية +وزارة الثقافة ،دمشق ، د.ط،2010
6. لبيب الطاهر :" سوسيولوجيا الغزل العربي " ، تر:مصطفى المنشاوي،دار الطليعة +عيون المقالات ،الدار البيضاء ، ط1، 1987.
7. لوكاتش جورج :" الرواية " ،تر:مرزاق بقطاش ،المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ، د.ط ، د.ت .

المجلات :

1. لينهارت جاك:" دفاعا عن جمالية تستلهم علم الاجتماع" (محاولة لبناء الجمالية لدى لوسيان غولدمان)، تر فهد عكام، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ،عدد 112 ، 1980 .

العناوين الأجنبية:

1. Goldman Lucien<< pour une sociologie du roman >>, Ed, Gallimard, Paris, 1964 .